

(١)

**المال العام وحرمة التعدي عليه**

الحمد لله رب العالمين، بديع السموات والأرض، ونور السموات والأرض، وهادي السموات والأرض، أقام الكون بعظمة مجليته، وأنزل الهدى على أنبيائه ومرسله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهًا أحدًا فردًا صمدًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وختامًا للأنبياء والمرسلين، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن التأمّل في البيان النبوي الشريف يجد وعيدًا شديدًا وترهيبًا حادًا من التعدي على المال العام بأي صورة من الصور، حيث يقول نبينا صلوات ربي وسلامه عليه: «إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»، أرايتم أيها الناس قدسية المال العام وعظمته؟! أرايتم ماذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن المال العام هو مال الله تعالى.

أيها المعتدي على المال العام أفتق! أنت لا تعتدي على مال الوطن والمواطنين فقط، أنت تعتدي على مال الله جل جلاله! أعلمت هول الأمر وشدته وعظمته؟! إن المال العام هو المال المقدس، إن التعدي على المال العام جورٌ وبغي على المال الذي نُسب إلى الله تعالى نسبة صيانة وحماية وحفظ! أيها المعتدي على المال العام تأمل عقاب الذين يعتدون على مال الله بتضييعه وسوء التصرف فيه والأخذ منه بغير حق، إن الجزاء نارٌ حامية، يقول صلى الله عليه وسلم: «فلهم النار يوم القيامة»، ويقول صلوات ربي وسلامه عليه: «أيها لحم نبت من حرام فالنار أولى به».

وهنا يتحرك في عقولنا جميعًا سؤال: ما هو المال العام؟ ونجيب فنقول: المال نوعان، مال خاص ومال عام، أما المال الخاص فهو ممتلكاتك أنت الشخصية، مثل منزلك، وثوبك، وكتابك، ومكتبك، وأغراضك وممتلكاتك الشخصية، وهذه لها حرمة عظيمة؛ حماية من الشرع لك ولحقوقك، حيث قال الله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}، وقال صلى الله عليه وسلم:

(٢)

«لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»، وَقَالَ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»، فَهَذَا هُوَ الْمَالُ الْخَاصُّ.

وَأَمَّا الْمَالُ الْعَامُّ فَهُوَ الَّذِي لَا تَمْلِكُهُ وَحْدَكَ، وَلَا يُحْصِيكَ وَحْدَكَ، وَلَا يَقْتَصِرُ نَفْعُهُ عَلَيْكَ وَحْدَكَ، بَلْ يَمْلِكُهُ النَّاسُ جَمِيعًا، وَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، مِثْلَ الْمَوَاصِلَاتِ الْعَامَّةِ، وَالشُّوَارِعِ، وَالْكَهْرُبَاءِ، وَالْمَاءِ، وَالْمَدَارِسِ، وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ، وَالْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَرُبَّمَا يَتَسَاهَلُ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ الْخَاصَّةِ، فَيَتَجَرَّأُونَ عَلَيْهِ وَيَعْتَدُونَ عَلَيْهِ وَيَسْتَسْهَلُونَ أَمْرَهُ، أَلَا إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَظِيمٌ! وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَظَّمَ أَمْلَاكَ الْخَاصَّةَ وَحَرَّمَ عَلَى النَّاسِ الْعُدْوَانَ عَلَيْهَا، فَهَلْ يُبَاحُ لَكَ أَنْتَ الْعُدْوَانُ عَلَى مَالِ النَّاسِ جَمِيعًا؟! وَهَلْ أَمْلَاكَ الْخَاصَّةَ أَعْظَمَ حُرْمَةً مِمَّا هُوَ مَمْلُوكٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا وَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ؟!

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعَقَلَةِ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ أَنْ يَحْتَلَّ مِيزَانُكَ، وَأَنْ تَنْعَكِسَ الْأُمُورُ وَتَلْتَبَسَ عَلَيْكَ، فَتَعْظَمَ حُرْمَاتِ أَمْوَالِكَ وَأَمْلَاكَكَ أَنْتَ، وَتَسْتَبِيحَ مَا يَمْلِكُهُ وَيَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، إِنَّ الْمَالِ الْعَامَّ أَعْظَمَ حُرْمَةً، وَأَشَدَّ حِمَايَةً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُرْمَةِ الْمَالِ الْخَاصِّ، مَعَ شِدَّةِ تَعْظِيمِ حُرْمَةِ الْمَالِ الْخَاصِّ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمَفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمَفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَدَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ فَيَمْنُ أَكَلَ مَالَ فَرْدٍ وَاحِدٍ «وَأَكَلَ مَالَ هَذَا»، فَكَيْفَ يَمْنُ أَكَلَ أَمْوَالَ شَعْبٍ، وَضَيَّعَ مُقَدَّرَاتِ وَطَنِ؟!!

(٣)

إِنَّ الْمِيزَانَ النَّبَوِيَّ فِي التَّعَدِّي عَلَى الْأَمْوَالِ الْخَاصَّةِ يُعْظَمُ غَضْنَا ضَيْبًا مَقْطُوعًا مِنْ شَجَرَةٍ، فَمَا الْحَالُ إِذَا كَانَ الْمَالُ التَّعَدِّي عَلَيْهِ عَامًّا مُتَعَلِّقًا بِذِمِّهِ كَثِيرَةٌ وَحُقُوقٌ مُتَعَدِّدَةٌ؟! يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ».

\*\*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ:

فِيهَا الْكِرَامُ! تَحَمَّلُوا مَسْئُولِيَّاتِكُمْ تَجَاهَ وَطَنِكُمْ وَمَجْتَمَعِكُمْ، حَافِظُوا عَلَى مَوَارِدِ وَمُقَدَّرَاتِ وَافْتِصَادِ بِلَادِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ جَرَائِمَ الْاِخْتِلَاسِ، وَالرُّشُوءِ، وَالتَّرِيحِ، وَتَسْخِيرِ الْوِظِيفَةِ لِخِدْمَةِ مَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ، وَغَيْرَهَا مِنْ صُورِ التَّعَدِّي عَلَى الْمَالِ الْعَامِّ غُلُوبٌ وَخِيَانَةٌ وَإِثْمٌ مُبِينٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، وَتَأَمَّلُوا هَذِهِ الصُّورَةَ الْبَدِيعَةَ فِي حُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَالِ الْعَامِّ، حِينَ طَلَبَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَزْمٍ (أَمِيرُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ) مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُيَدِّهُ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَوْزَاقِ الَّتِي يَسْتَعْدِمُهَا فِي قَضَاءِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، فَوَجَّهَهُ إِلَى قَانُونٍ عَظِيمٍ فِي التَّرْشِيدِ وَالتَّدْبِيرِ، حِينَ كَتَبَ إِلَيْهِ: «أَدِقَّ قَلَمَكَ، وَقَارِبْ بَيْنَ أَسْطُرِكَ، وَاجْمَعْ حَوَائِجَكَ؛ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُخْرِجَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ».

وَيَا مَنْ تَبْتَغِي الْبَرَكَاتِ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَوْلَادِكَ، لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَيِّبًا، لَا تُطْعِمُهُمْ إِلَّا طَيِّبًا، يَا مَنْ تُرِيدُ مِنَ الْوَهَابِ سُبْحَانَهُ إِجَابَةَ دُعَائِكَ وَتَحْقِيقَ آمَالِكَ، حَافِظٌ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَمَرَافِقِهِمْ وَمُتَمَلِّكَاتِهِمْ الْعَامَّةِ؛ حَتَّى تَبْرَأَ ذِمَّتَكَ، وَيَطِيبَ كَسْبَكَ، وَتَرْضَى رَبَّكَ، وَتَنْصَحَ لَوْطَنِكَ وَأُمَّتِكَ، وَلِيَكُنْ هَادِيكَ قَوْلُ الْمَوْلَى جَلَّ وَعَلَا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}، وَحَادِيكَ قَوْلُ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «أَطْبَ مَطْعَمَكَ؛ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ».

(٤)

اللَّهُمَّ أَفْضِ عَلَيَّ بِلَادِنَا الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ  
وَابْسُطْ فِيهَا بَسَاطَةَ الْأَمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرَّخَاءِ.